مداومة عبادة الحمد والشكر بعد الأيام العشر وأيام النحر

2022-07-15

الحمد لله الذي رضي لنفسه الحمد وعلّمه، فله الثناء الحَسن بل أجلّه وأعظمه، وله الحمد لتمام منّته وكمال نعمته وما أكرمه. نحمده تَبارك وتعالى ونشكره على النِّعَم كَيْلا تَضيع. ونسأله الثّبات على الإيمان والدين كَيْ ندخل الحِصن المنيع. ونرجوه حُسْن الخاتمة. وأن يلحقنا بالسابقين من أصحاب الشرف الرفيع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رفيع الدَرَجات، مُسبِغ النِّعم والبَرَكات، مَنَّ علينا بمواسِمِ الخَيرات والرَّحمات، وهدانا إلى الطاعات والقُرُبات، اللهمّ ربَّنا لك الحمدُ، لك الحمدُ بما خلَقتَنا ورَزقتَنا، وهدَيتَنا وعلَّمتَنا، لك الحمدُ بالإسلام، ولك الحمدُ بالقُرآن، ولك الحمدُ بالأهلِ والمالِ والمُعافاة، كَبَتَّ عدوَّنا، وبسَطتَّ رِزقَنا، وأظهَرتَ أمنَنا، وجمَعتَ فُرقتَنا، وأحسَنتَ مُعافاتَنا، ومِن كل ما سألنَاك ربَّنا أعطَيتَنا، فلك الحمدُ على ذلك حمدًا كثيرًا. لك الحمدُ حتى ترضَى، ولك الحمدُ إذا رضِيتَ، ولك الحمدُ بعد الرِّضا. وأشهد أنّ سيِّدَنا محمدًا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. النبيّ المرتضى. والرسول المجتبى. أعبد الناس وأخشاهم وأتقى، وأكثرهم ذكراً وشكراً وحمداً. صلّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله وأصحابه، صلاة تستنزل غيث الرحمة من سحابه، وتحلّ صاحبها من الرضوان أوْسع رحابه، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنَّ مِنْ أحبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْعِبَادَات شُكَرَه وَحَمدَه وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، فَالْعِبَادَةِ هُوَ مَنْ هدَى إِلَيْهَا، وَهُوَ مِنْ وفَّق لِأَدَائِهَا، وَهُوَ مِنْ يقبلُها وَيُثِيبُ عَلَيْهَا. وَهُوَ مِنْ يَتَجَاوَزُ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي أَدَائِهَا، يَتَكَرَّرُ الشُّكْرُ بِشَكْل لافتٍ فِي دُبُرِ الْعِبَادَات، فَفِي الْحَجِّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى في سورة البقرة:((وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)). وقال سيّدنا إبراهيم عليه السلام بعد بنائه للبيت. كما في سورة إبراهيم:((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْع عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ))، وبعد الهديِ والأضاحي قال الله تعالى في سورة الحج:((وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ

فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)). وبعد آياتِ الصيامِ قال الله في سورة البقرة:((وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))، وبعد آية أحكام الوضوء والطهارة، قال تعالى في سورة المائدة:((مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)). وَفِي صِيغَةِ التَّكْبِيرِ الَّتِي نُكَرِّرُها فِي العيد فِي آخِرِهَا الْحَمْد، بَل شَرَعَ أَنْ يَدْعُوَ الْمُصَلِّي بَعْدَ كُلِّ صلاةٍ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى شكره. كَمَا جَاءَ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لسيّدنا معاذٍ رضي الله عنه، وَهِيَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ ولكافّة أمّته، مَا رَوَى أَبُو دَاوُد، أَنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ:((يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)). فَهَذِه العبادةُ ملازمةٌ للعباداتِ مُلَازَمَةٌ وَاضِحَةٌ، بل جاءَ الأمَرُ بالشكرِ مع العبادةِ مطلقًا دونَ تخصيصٍ لعبادة، وتأمَّلْ قول الله تعالى في سورة الزمر:((بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وكن من الشاكرين)). أيّها المسلمون. الشُّكرُ مِن صفاتِ الرَّحمن جلَّ جلالُه، وتقدَّسَت أسماؤُه، فالله تعالى شاكِرٌ وشَكورٌ، وسمَّى الشَّاكِرين بهذَيْن الإسمَين، فأعطاهُم مِن وَصفِه، وسمَّاهم باسمِه، وحسبُك بهذا محبَّةً للشَّاكِرين وفضلًا. وكما أنّ الشُّكر مِن صِفاتِ الله جلَّ جلالُه، فهو مِن صِفاتِ المُؤمنين، بل أهلُ شُكرِه هم أهلُ عبادتِه، قال سبحانه في سورة البقرة:((وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)). والشُّكرُ مِنه تبارك وتعالى: مُجازاةُ العبدِ والثَّناءُ؛ فهو سبحانه بَرٌّ رحيمٌ كريمٌ. يشكُرُ قليلَ العمل، ويعفُو عن كثيرِ الزَّلَل. ومِن كرمِه وجُودِه وفضلِه: أنَّه لا يُعذِّبُ عبادَه الشَّاكِرين، قال سبحانه في سورة النساء:((مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)). والشكر مِن أجَلِّ العبادات وأعلاها، ومِن المقاصِدِ العُظمَى التي خُلِقَ الخلقُ مِن أجلِها، قال وَتعالى في سورة النحل:((اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)). أيّها المسلمون. إنّ استحضارَ نعمة الله على العبد بعد العبادات من أَجَلِّ النِّعَم وأزكاها عند ربنا. فيَا مَنْ صُمْتُمْ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهُوَ يَوْمٌ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ سَنَتَيْنِ، اشْكُرُوا اللهَ تَعَالَى حِينَ هَدَاكُمْ لَهُ، وَأَعَانَكُمْ عَلَى صِيَامِهِ. ويَا مَنْ ذَبَحْتُمْ أَضَاحِيكُمْ،

اشْكُرُوا اللهَ تَعَالَى عَلَى مَا وَسَّعَ عَلَيْكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ أَثْمَانِهَا، وَمَا هَدَاكُمْ لِتَعْظِيمِهِ سُبْحَانَهُ بِذَبْحِهَا، وَمَا تَمَتَّعْتُمْ بِه مِنْ لَحْمِهَا. وَيَا مَنْ أَقَمْتُمْ أَيَّام العَشْرِ تَرْتَعُونَ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، شْكُرُوا اللهَ تَعَالَى إِذْ هَدَاكُمْ وَأَعَانَكُمْ عَلَى الصَّوَارِفِ وَالشَّوَاغِلِ، وعَلَى النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ. وَيَا مَنْ حَجَجْتُمْ بَيْتَ اللهِ الحَرَامِ. اشْكُرُوا اللهَ تعالى حِينَ اخْتَارَكُمْ لِحَجِّ بَيْتِهِ، وَوَفَّقَكُمْ لِأَدَاءِ فَرْضِهِ، وَقَدْ حُرِمَ ذَلِكَ ملايين المُسْلِمِينَ، ومليارات البَشَرِ. واللهُ تأَذَنَّ لمن شكر بالزيادة؛ كما قال تعالى في سورة إبراهيم:((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ))، فهو يزيد من الخير والصلاح لمن تَعبَّد ربه وشكره. أيّها المسلمون. وتَأَمَّلُوا حَال رَسُولِنَا صلى الله عليه وسلم مَعَ الشُّكْرِ، فِيمَا رَوَاهُ البخاريُّ ومسلمٌ مِنْ حَدِيثِ أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:((كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذَا قَامَ حَتَّى تَفْطُرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ. أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)). فالشرائعُ بأحكامِها، والعباداتُ بأنواعِها كلها نِعمًا مِن الله تبارك وتعالى وجَبَ حمدُه وشُكرُه عليها. فيا مَن وُفِّقتُم للصِّيام والقِيام، وعظَّمتُم شعائرَ الله، واجتَنَبتُم محارِمَه! اشكُرُوه سبحانه على ما هداكم، ويسَّرَ لكم الطاعةَ واجتباكُم بإظهارِ أثَرِ النِّعمة على ألسِنَتكم ثناءً واعتِرافًا، وعلى قلوبِكم محبَّةً وشُهودًا، وعلى جوارِحِكم طاعةً وانقِيادًا. أيّها المسلمون. إنَّ مِن أعظم النِّعَم إدراكَ مواسِم الطاعات، والمُسارَعة فيها بأنواع القُرُبات في وقتٍ حُرِمَ البعضُ مِن اغتِنامِها، أو حالَ الأجَلُ دُون بلوغِها. وإنَّ مِن شُكرِ النِّعمة بعد مواسِمِ الطاعة: المُداومةَ على العِبادة. وقد سُئِلَت أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَةَ رضي الله عنها:((كيف كان عملُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم؟ هل كان يخُصُّ شيئًا مِن الأيام؟ قالت: لا، كان عملُهُ دِيمةً)). أيْ: إذا عمِلَ عملًا داوَمَ عليه. وكان صلى الله عليه وسلم يُوصِي أصحابَه بالثَّباتِ على الطاعاتِ، والمُداومَة على القُرُبات، ولو كان شيئًا يسيرًا. فالمُؤمنُ ينتَقِلُ مِن عبادةٍ إلى عبادةٍ، ومِن طاعةٍ إلى طاعةٍ، ومِن شُكرٍ إلى شُكرٍ. إلى أن يُلاقِي ربَّه، ففي القرآن الكريم في سورة الحجر:((وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)). أيّها المسلمون. حريٌّ بنا أَنْ نَلْحَظَ نِعَمَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْنَا، وَفِيمَا شَرَعَ لنا مِنَ الشَّعَائِرِ والمَنَاسِكِ، وَفِي كُلِّ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَأَبْوَابِهَا

وَتَفْصِيلِهَا. فَإِنَّنَا إِذَا اسْتَشْعَرْنَا ذَلِكَ لَهَجْنَا للهِ تَعَالَى حَامِدِينَ شَاكِرِينَ، وَأَتَيْنَا مَوَاطِنَ الحَمْدِ والشُّكْرِ، وَجَانَبْنَا مَوَاضِعَ الجُحُودِ وَالكُفْرِ. قال تعالى في سورة البقرة:((إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)). هذا هو حكم الله تعالى أنّ أكثر الناس لا يشكرون، فمَن منّا أدّى شُكر جوارحِه؟، ومَن منّا أدّى شكر النِّعم الدينية والدنيوية عليه؟، ولهذا قال الله:((وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)). فما أعظمه مِن خَطْب وما أشدَّه! أكثر العباد لم يشكر الله تعالى على ما أَوْلاه من النعم ودفَع عنه من النقم؛ ولهذا لمّا عَلِم الخبيث إبليس أنّ العباد ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازمًا ببذل مجهوده على إغوائهم. ظنّ وصَدق ظنُّه فقال كما في سورة الأعراف:((ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)). روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((يَقُولُ اللهُ تعالى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ. حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ وَتَرْأَسُ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ؟)). فاشكُرُوا اللهَ عباد الله، ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا. وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)). فاللهمّ أَوْزعنا شكر نعمتك. اللهمّ اجعَلنا لك شاكِرين، لك ذاكِرين، لك راهِبين، لك مِطواعِين، إليك مُخبِتين مُنِيبين. اللهمّ أعِنَّا على ذِكرِك وشُكرِك وحُسن عبادتِك، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ الشَّاكِرِينَ الْحَامِدِين لَك يَا رَبّ الْعَالَمِين. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فَشَكَرُوا، وَأَعْطَيْتَهُمْ فَحَمِدُوا. وَمُنَّ عَلَيْنَا مِنْ وَاسِعِ كَرَمِكَ وَفَضْلِكَ. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللهمَّ وفِّقنا أجمعين لِحمْدِك وشكرك وحُسْنِ الثناءِ عليك يا حميد يا مجيد، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ